وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامـــعـــة ديـــــالى
كـــلـيـة الـتـربـيـة للعلوم الإنسانية
قســـــم اللّغة العـــربـيّة

أسْلوبِيَةُ النَثْرِ فِي رَسَائِلِ ابْنِ زَيْدون

رسالة مقدمة إلى

مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى وهي جزء

من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربيّة وآدابها

من الطالبة

لواء طاهر كامل

بإشراف

أ.م.د. علاء حسين عليوي

١٤٤٤هـ ٢٠٢٣م

الفصل الأوّل
المستوى التركيبي

المبحث الأول: الاستهلال،الغرض، الاختتام

المبحث الثاني: أسلوب الاستفهام

المبحث الثالث: أسلوب الأمر والنهي

المبحث الرابع: التقديم والتأخير

الفصل الأول

المستوى التركيبي

المبحث الأول

الاستهلال،الغرض ،الاختتام

١. الاستهلال:

إنّ كل لغة تتمتع بخصائص وظواهر فنية عديدة، تكون المائز لها عن غيرها، كي تكون لها خصوصية بين اللغات، ومن تللك الظواهر الفنية هي (الاستهلال)، أو مااطلقوا عليه (براعة الاستهلال)، الذي يظهر براعة الكاتب إنْ كان أديبًا أو روائيًا أو شاعراً، وبما يمتلكه من عمق في اللغة، من ديباجة في الالفاظ والعبارات، تكون بمثابة عتبة لطيفة لما يُنتِج، فبعض كتّاب الأندلس، أعتنوا بالاستهلال، كونه يمثل ((الجزء الأول من الكلام، الذي يُقدّم فيه المُتكلّم جملةً من الألفاظ والعبارات، يُشيرُ فيها إشارةً لطيفةً إلى موضوعِ الكلام، وكيفيّة التدرّج فيه، ويقصد بذلك جذب الانتباه لدى جمهور السامعين))[١]، ومن ثم ((يسهم في تكثيف الأحداث المتوالية والإيذان بها، فنجد قيمة جملة الاستهلال الأولى تكمن بتكثيف الأحداث القادمة، الأمر الذي يؤدّي إلى اختزالٍ في المفردات، التي لا بُدّ أنْ تأتي من اختيارٍ واعٍ لواقع الكلمة ودلالاتها المؤدّية للغرض المقصود))[٢]، فالرسائل لا تخلو من الابتداءات،((إذ تُعدّ الركن الأول في الرسالة، فالأديب يحرص على أنْ يكون أسلوبه جميلًا ومؤثرًا في المتلقّي، فهذا الأسلوب حثّ عليه

---

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م: ٣٢.

(٢) بنية السرد في القصص الصوفي، المكنونات، والوظائف، والتقنيّات: د. ناهضة ستّار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د. ط)، ٢٠٠٣م: ٨٩-٩٠.

ابوهلال العسكريّ(٣٩٥هـ) بقوله: ((أحسنوا معاشرَ الكُتّابِ الابتداءات))[١]، فضلاً عن أهمية الاستهلال عند ابن رشيق القيرواني(٤٥٦هـ) بقوله: ((وحُسنُ الافتتاح داعية الانشراح، ومطيّة النجاح))[٢]، فهو أي الاستهلال عتبة النصّ ومفتاحه، ومضمونه، إذ به يُعبّر عن تجارب وغاية الأديب . فثمة أنواع صّنفها علماء البلاغة، تكشف عن براعة الكاتب، فضلاً عن اسلوبه النثري، الذي برع به كتّاب الرسائل في البلاد العربية، بشكل عام وكتّاب العصر الاندلسي بشكل خاص، ومنهم ابن زيدون موضوع الدراسة، فقد كشفت الدراسة، أنّ الرسائل التي بدأت بالاستهلال هي ..

١- الرسالة الهزلية

٢-الرسالة الجدّية

٣-الرسالة العامرية

أمّا الفنون التي بدأ بها الاستهلال فيمكن تقسيمها على وفق ثلاثة انواع وهي:

أولًا: **الاستهلال بالنداء**:

يُعدّ من الابتداءات، التي برزت في رسائل ابن زيدون، إذ يقول: ((**يا مَولَاي وسيّدي الذي وِدَادي له، وإعتِمَادِي علَيهِ، وَإعتِدَادِي بِهِ، وإمْتِدَادِي مِنْهُ**)).[٣] فيبتدأ رسالته بأداة النداء، فيكون الاستهلال بإحدى أدوات النداء (يا)، فالغرض من الاستهلال هو التنبيه، وذلك لتوقير المُخاطب[٤]، وقد جعل الأديب تناسب المعاني مع جرس

---

(١) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر:أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت٣٩٥)، تحقيق، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط١: ٣٩٩.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٨١/١.

(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله :شرح وتحقيق ،علي عبد العظيم ،نهضة مصر ٦٨٠.

(٤) ينظر: دروس في البلاغة العربية: الأزهر زناد، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م: ١٣٥.

الألفاظ مع كلمتي (اِعتِمَادِي، اِعتِدَادِي)، إذ يؤدّي الاستهلال وظيفة نسقيّة، تعمل على تشكيل التسلسل المنطقي في الأحداث التي لم تقع، إلّا أنّها مُمكنة الوقوع، حتّى تصلَ إلى بُؤرة الحدث.(١) ومن أمثلة الافتتاح بالنداء ايضًا، قول ابن زيدون في الرسالة البكريّة، إذ يبدأها بأداة الندا(يا) في قوله: ((يَا سَيِّدِي الذي كُنتُ أراهُ أَعَدَّ عُدَدِي لأبَدِي، وأَحصَنَّ جُنّنيَ مِنْ زَمَنِي)).(٢)

فالنص قد بدأ بإحدى أدوات النداء (يا)، وهذا النداء يحمل معنى لتنبيه المُخاطب وتوقيره (٣)، ، يمكن الاستدلال بالرأي القائل، أنّ ابن زيدون كتبها عندما كان متخفيًا بقرطبة، فجاءت هذه المقدّمة لتنبيه المُخاطب (٤) ويمكن القول، أنَّ ابن زيدون كان يمر بظروف اجبرته انّ يلح بهذا الأسلوب والرأي الراجح، أنه كتبها حيندب الخصام بينه وبين أمير قرطبة ابي الحزم وما حيك من دسائس ضده من بعض معاديه (٥)، فالاستهلال كشف هنا عن الحالة النفسيّة، التي مر بها، طلبًا في مناجاة ، ونداءًا بصيغة (يا سيّدي) وموقفًا يوحي عمق المأساة، التي يعيشها ابن زيدون، فهنا براعة الاستهلال، توحي أنّ ثمة مأزق وقلق وتأزم في الحدث القادم، فبراعة الاستهلال ترصد شبكة من العلاقات السلوكيّة والمعرفيّة، يمكن أنْ تكمن في النصّ، فتعمل على التأثير في المتلقّي وتسترعي انتباهه، فضلاً عن الأثر الذي تتركه في المتلقّي وإدراكه.(٦) ويبدو أنّ مفردة (ياسيدي) لاتفارق ابن

---

(١) ينظر: أسلوبيّة النثر الصوفي في كتاب المواقف والمخاطبات للنفري (ت٣٥٤هـ): ٥٧.
(٢) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧١٨-٧١٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ٧١٨-٧١٩.
(٤) ينظر :المصدر نفسه: ٧١٨.
(٥) ينظر: قراءات في الشعر الأندلس: د. صلاح جرار ،دار المسيرة ،عمان ،الاردن،ط١ ٢٠٠٧ :٦٦
(٦) ينظر: البنية السردية في شعر الصعاليك: د. ضياء غني لفتة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ٩٦.

زيدون، أملاً في أنْ يسترعي انتباه المنادى، قريبًا كان أم بعيدًا، فيقول: ((**يَا سيّدي وأرْفَعَ عُدَدِي، وأوّلَ الذخائرِ في عَدَدِي، واخطَّ عِلقٍ ملأتُ من اِقتِنائِهِ يَدِي**)).[١] فقد تبين توظيف التركيب الندائي وخروجه عن المعنى الحقيقي، أي غرض التعظيم ،لشحن شعرية النص بكثافة عالية، لتتسع الرؤية وهنا مجازية أسلوب الدعاء بالطلب منحت النص فاعلية التعظيم وتهويل الموقف، فأسهمت في شدّ ذهن المتلقي الى بيان أهمية الموقف و، ولتحريك الدلالة الإفهامية ، لبيان علو شأن المنادى، لذا نجد ابن زيدون يلح في أسلوب النداء.

وبما انّ فالنداء ممكن أن يخرج للتنبيه أو التوقير [٢]، وعليه يمكن القول أنّ هذه الالفاظ ودلالتها جاءت معبّرة عن إحساس الأديب وغرضه على الموضوع والموقف [٣]، فثمة ترابطٌ أسلوبيُ في النصّ، أسهم في بناء الرسالة، فبالاستناد على المعنى البلاغي، بوساطة الاستهلال وبراعته، يمكن أنْ نكشف عن الدلالة في النصّ النثري، فضلاً عن السِمة الجمالية التعبيرية. التي برزت باستعمال النداء .

ثانياً: **الاستهلال بالدعاء**:

وهي من الابتداءات، التي كانت واضحة في رسائل ابن زيدون، إذ يقول: ((**أطالَ اللهُ بَقاءَ الحَاجِبِ، فَخيرُ الدولةِ مولايَ وسيّدِي، ومَولَى المَناقِبِ الجَلِيلَة ،والضّرائبِ النفيسَةِ**)).[٤] نجد أنّ استهلال الرسالة العبّادية، قد بدأ بالدعاء، ثمّ بالمدح للمعتضد بن عبّاد، وبالأفعال والاقوال الكريمة والطباع التي يتحلّى بها، وهي تعدّ من المواضيع المُهمّة

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٦٣.
(٢) ينظر:الأساليب الإنشائيّة في التوقيعات المهدوية، دراسة نحوية: بدر حسين علي المهداوي، (رسالة ماجستير)، ط١، ١٤٣٦هـ: ١٣٥.
(٣) ينظر:الرسائل الإخوانية في العصر المملوكي، موضوعاتها وخصائصها الفنّية: ١٩٦.
(٤) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٦٩.

التي استعملها ابن زيدون، فجاء الدعاء مقرونًا بالمدح[١]، ومن ثم عُدَّ الدعاء عنصرًا من عناصر الرسالة، فتركيب الجملة المدحية والجرس الصوتي، يعبّرعن الظروف الوجدانية والنفسيّة، فيؤثر في المتلقي، يحاول الشاعر أن يخلق من النص متعة لدى المتلقي، ، يدق جرسها في أذن السامع، فتكون أكثرَ إيحاءً وتأثيرًا في المتلقّي، فبه يستطيع الأديب البوح بما موجود في الرسالة.[٢]

ومن الأمثلة أيضًا لابن زيدون قوله: ((**أطالَ اللهُ بَقاءَ مَولَايَ لِلنِعَمِ يُطوّقُها، والآمالِ يُصدّقُها، والمِنَنِ يُقلّدُها، والأحرارِ يستَعْبِدُها**)).[٣]

إنّ الكاتب يبدأ استهلال الرسالة بالدعاء، ولهذا أسباب وفوائد منها، العودة إلى قُرطبة ليُرتّب شُؤونه قبل الالتحاق بخدمة المعتضد[٤]،إن لغة النصّ وبلاغته والمستوى التركيبي والصوتي، له وقعه على السامع كما أسلفنا، فتقوم بصدمة المتلقّي وإدهاشه بجمال النصّ، وهنا تظهر ميزة وخصيصة الابتداء. كما يقول البرقوقي ـ : ((أنّه أوّل ما يقع عليه السمع إنْ كانَ عذبًا، حسنُ المَسبَكِ، صحيحُ المعنى، أقبلَ السامعُ على الكلام)).[٥] وإنّ الاستهلال المُتقَن تكون له فاعليّة في ((جلبِ انتباه القارئ أو السامع أو المُشاهد، وشدّه إلى الموضوع، فبضياعِ انتباهه تضيعُ الغاية)).[٦] وهذا ماعمد اليه ابن زيدون.

---

(١) ينظر: ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٦٩.
(٢) ينظر: الرسائل في فضائل أهل الأندلس، دراسة موضوعيّة فنّية، ٠أطروحة دكتوراه): شيماء ستار جبار الخفاجي، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م: ٨٢.
(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٧٣.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٧٧٣.
(٥) المصدر نفسه: ٢٤-٢٥.
(٦) الاستهلال في فنّ البدايات في النصّ الأدبي: ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق –سوريا ط١، ١٩٧٦م: ٢٢.

ثالثاً: **الاستهلال بالوصف**:

يُعدّ الاستهلال بالوصف سمة مميّزة، يمكن دراستها، وفقًا لآليات المنهج الأسلوبي، فالاستهلال بالوصف أحد مواضيع البلاغة المهمة، للتعبير عن بلاغة النصّ، فضلاً عن كشف بلاغة كاتبه، يقول ابن زيدون: ((**لَمّا لَبسَ الحاجِبُ ـ أعزهُ الله ـ رِداءَ المَجْدِ مُعلِمًا، وَحَمَلَ لِوَاءَ الحَمْدِ مُعْلِنًا**)).[١]

يخاطب ابن زيدون هنا الملك المظّفر، سيف الدولة، (أبا بكر ابن الأفطس)، ويصفهُ ((**بانّه المَعلَم الذي لا مَثيلَ له، إذ لَبِسَ الأميرُ ثوبَ المجدِ مُتميّزا بهِ عن غيره**))[٢]، وأنّ الوصف يُعدّ من أهم مُتطلّبات الأسلوبيّة، إذ إنّ الاستهلال ((هو مَنْ يُدلّل بالعقل والعاطفة التي ترتبط بحسّ المتلقّي وذوقه الأدبي))[٣]، فالوصف بوساطة الاستهلال له أثر ووقع لدى الملك، فأسلوبية الأديب تكشف دلالة النص في كسب ود الملك واستمالة عطفه وعفوه.

ومن الأمثلة الأخرى يقول: ((**كُنتُ فِي أيّام الشّبَاب، وَغَمرَة النِّصَاب، هائمًا بِغادة، تُدعَى ولّادة، أَرَى الحياةَ مُتعلّقةً بِقُربِها**)).[٤]

إنّ طبيعة الموقف، تستوجب البدء بالوصف، ومنها وصفُ الأحداث، والليلة الطويلة التي قضاها عتابًا مع ولّادة، [٥]، فهنا استعمل الأديب لغة، تمتاز بجماليّة تؤثر في نفس المتلقي، كي ينسجم ويتناغم مع عباراته باستهلال يصف الممدوح، فإنْ قيمة الاستهلال وفاعليّته لا تكمُن في القارئ فحسب ،بل في النص، فهناك دراسات بيّنت أنّ

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٥٤.
(٢) المصدر نفسه: ٧٥٤.
(٣) المصدر نفسه: ٥٣٣.
(٤) المصدرنفسه: ٧٧٧.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٧٧٧.

قيمة العمل الأدبي، تكمنُ في فهم القارئ وتمكّنه من النصّ مع الاعتراف ببراعة الكاتب، وهنا تبرز فاعلية الاستهلال ((الذي يُعدّ جزءًا مُهمًا من البناء النفسي للكاتب))[١]، وهذا ما سار عليه معظم الكتاب في العصر الاندلسي. فسياق النص وأسلوبه كشف عن العنصر الجمالي على وفق تأثير النص في القارئ.

٢. **الغَرَض**:

يُعدّ الرّكن الرئيس في الرسائل، ومن أجله كُتِبَت، ويأتي دائمًا عند ابن زيدون بعد عبارة (أمّا بعد)، ويُعدّ الغرض أهمّ جزءٍ في الرسالة، لذلك اعتنى ((الكتّاب به ليُفهِموا المُتلقّي ويُثيروا لذّة التشبّع به، ومن غير تعقيدٍ أو غُموض، أو ابتذال، مع مساهمة في تأدية الغرض))[٢]، فغاية الاديب تنكشف، في الأغراض التي خرجت إليها رسائله .ومن أهم الاغراض التي خرجت اليها رسائل ابن زيدون هي:

أولًا: **التهكّم والسُخرية**:

وهو من الاغراض المهمّة التي تناولها ابن زيدون حين قال: ((**أمّا بَعدُ، أيُّهَا المُصابُ بِعَقْلِهِ، المُوَرِّطُ بِجَهْلِه، البَينُ سَقَطُهُ، الفَاحِشُ غَلَطُهُ**)).[٣] فامتاز أسلوب ابن زيدون في شحن المفردات اللغوية، وسبكها، كي تكون اكثر دلالة لدى المتلقي، إذ يوظفها بأسلوب ساخر، فالسخرية تكمن بعبارة المصاب بعقله من طيش وسفاهة، وعدم تقدير الأمور مع نعته بالفحش.

فالكاتب في بعض رسائله يُصرّح بما يريد بعد قوله(أمّا بعد) من رسالة ابن زيدون التي ((كتبها على لسان ولّادة إلى ابن عبدوس منافسه في الحبّ والسياسة))[٤]، إذ ذكر

---

(١) الاستهلال في فنّ البدايات في النصّ الأدبي: ٢٢.
(٢) الرسائل في فضائل أهل الأندلس: ٨٧.
(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٣٤-٦٣٥.
(٤) المصدرنفسه: ٦٣٤.

أنّ ابن عبدوس أرسل إلى ولّادة امرأةً من جهته ((تذكر محاسن ابن عبدوس ومناقبه، وقد عرف ابن زيدون بذلك، فكتب جوابًا على لسان ولّادة يتضمّن الغرائب في سبِّ أبي عامرٍ والتهكّم والسُخرية به))[١]، والمقصود من الرسالة ((توبيخ ابن عبدوس، أي للتنبيه)).[٢] وهذا بسبب الخلافات بينهما حول ولادة بنت المستكفي.

ثانياً: **الاستعطاف**، **العتاب والاعتذار**:

يشير مفهوم الاستعطاف الى معان عدة، يمكن تحديدها، حسب سياق الجملة، فقد يعطي معنى الاستعطاف، الاعتذار، الاسترحام وظهور الوهن والخضوع، وهذا لايصرح به الأديب، بل هي مهمة القارئ، فيكشف عن تلك المعاني المكبوتة في النص، فقد يكون الاستعطاف، لطلب العفو وإظهار الخضوع والتذلل، أو للاستنجاد، كما في قول ابن زيدون: ((**وَمَن ابقَاهُ اللهُ تَعَالَى، مَاضِيَ حَدِّ العَزْمِ، وَارِيَ زَنْدِ الأمَل، ثَابِتَ عَهْدِ النّعمة، إنْ سَلَبْتَنِي ـ أَعَزَّكَ اللهُ ـ لِبَاسَ إنْعَامِك، وَعَطّلْتَنِي مِنْ حُليِّ إينَاسِكَ**)).[٣]

فسياق الجملة، يشير الى أنّ ((الرسالة كتبها ابن زيدون من سجنهِ إلى أبي الحزم ابن جهور))[٤]، أي كتبها على محمل الجد، فقد استعطف أبي الحزم، كي يُثير في نفسه الحنان، فهنا، يذكره بخدماته التي قدمها له في تأسيس الدولة، حتّى ينال عطف قلب الأمير، وقد جاءت هذه الرسالة أشدّ تأثيرًا وعاطفةً.

ومن الأمثلة الأخرى لابن زيدون قوله: ((**أَبْدَأ مِنْ كِتَابي إليكَ بِشَرحِ الضّرورَةِ الحَافِزَة إلى مَا صَنَعْت، مِمّا بَلَغَني أنّكَ صَدْرُ اللاّئِمين لِي عَليهِ**)).[٥]هنا يذكره بالمخاطبات التي ارسلها له وضرورة الاستجابة لطلبه.

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٣٤.
(٢) دروس في البلاغة العربية: ١٣٥.
(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٨٠-٦٨١.
(٤) المصدرنفسه: ٦٨٠.
(٥) المصدر نفسه: ٧١٩.

إنّ الهروب من السجن، لابد أنْ يردف بطلب استعطاف، يغفر ذلك، وهذا مايمكن رصده في الرسالة البكرية ، فقد وجهها ابن زيدون إلى أستاذة أبي بكر، يُصوّر فيها حالته النفسيّة، مستعطفًا الأمير به، فهي من الناحية الفنّية ((تُعد أقوى رسائل ابن زيدون، فقد في استعطاف أبي بكر مسلم)) [١]، إن صيغة الاستعطاف يتكشف الغرض الكامن في النصّ.

ومن الأمثلة ايضًا في غرض الاستعطاف، يقول ابن زيدون: ((**الحَاجِبُ فخرَ الدولَة مَوْلَاي، وَمَنْ أَطَالَ اللهُ بَقاءَهُ، وَكَبَتَ أعدَاءه، لِمَا خصّهُ اللهُ بِهِ من سَنَاءِ الهِمَمِ**)).[٢] هنا يستعطف الأمير بالدعاء له بطول العمر والنصر على الاعداء والخصال التي خصها الله به، وبما انّ الاختيار من اهتمامات الأسلوبية، لذا نجد الأديب قد أنتقى الفاظًا لغويةً معينةً لغرض التعبير عن موقفٍ أو طلبًا لأمرٍما .

يمكن القول أنّ ((ابن زيدون يستعطف صديقه أبي عامر مَسلَمة بإشبيلية لغرض التودد والعفو عن أمر ما)) [٣]، فالنصّ مبنيّ على الاستعطاف، والشفاعة، والتودّد إلى الملك، والثناء عليه، وإنّ الرسائل غالبًا ما تبدأ بمقدّمة في مدح الإخاء والمودّة، ثمّ بيان العلاقة، التي تجمع بين الأديب والمُخاطب، ، إن غاية الرسالة هي ((توجيه الحمد والشكر إلى المُخاطب، وأنّ الرسالة العامريّة، تكون مبنيّة على الاستعطاف والتعاطف، والانفعالات المؤثّرة في المتلقّي.

ومن **العتاب والاعتذار** ، فيقول ابن زيدون في ليلة نعيم: ((**أرَى الحَياةَ مُتعلّقةً بِقُربِها، ولا يَزيدُني امْتِناعُها إلّا اِعتِبَاطًا بِها**)).[٤]

---

(١) ينظر: ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧١٩.
(٢)المصدر نفسه: ٧٦٤ .
(٣) المصدر نفسه: ٧٦٣.
(٤) المصدر نفسه: ٧٧٧.

فالكاتب عاش ((ليلةً طواها مع ولّادة في نعيم، ثمّ في عتابٍ أشبهَ بالنعيم))[١]، وإنّ دلالة الألفاظ تدلّ على علاقة حبّ ومودّة بين ولّادة وابن زيدون، ويكون ابن زيدون حريصًا على دوام العلاقة، ((فإذا ما شعرَ بتغيّر في التعامل ، طلبَ تفسير ذلك))[٢]، فغرض الرسالة في ليلة نعيم بما احتوته من العتاب، الذي يكون بين الأحبّة ، فالعِتاب هنا يكشف اسلوباً بين اللين والقسوة.

ومن الأمثلة أيضًا لابن زيدون: ((**وَقلّمَا اِسْتَغْنَت أوائِلُ مَطَالِيْبِ الأتباعِ لِحَضْرَةِ المُلوكِ مِنْ وَسائِطِ تمهّدهَا، وتعتمِدُ أوقاتَ الإمكانِ بِها**)).[٣]

يمكن القول أنّ ، فائدة الغرض من الرسالة العباديّة، التي كتبها ابن زيدون إلى المُعتضد بن عبّاد،هي رسالة اعتذار كتبها إلى الأمير الحاجب، كتابة غير مباشرة، عن طريق وزير عامر بن مسلمة، ((لأنّ حُكماء الاتباع يحرصون على ان يواسطوا بينهم وبين سادتهم))[٤]، إذ نحلل غاية الكاتب بأن غرض الاعتذار يكون له قد أخذ منحًى بين الرقّة واللين، وكثيرًا ما يخرج إلى غرض العتاب والاعتذار والاستعطاف معًا.

رابعًا: التوصية والعناية:

إنّ هذا النوع من الرسائل، له مفهوم خاصّ، إذ كانت ((توجّه لمن بيده الأمر والنهي، لكي يهتمّ بحامل الرسالة ويقضي حاجته))[٥]. يقول ابن زيدون: ((**يعلمُ الذي أسألهُ إعزازَ**

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٧٧.
(٢) فنّ التراسل في العصر الأندلسي الرسالة الهزلية لابن زيدون أنموذجًا، (رسالة ماجستير)، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٦م: ٣٧.
(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٧٠.
(٤) المصدرنفسه: ٧٧٠.
(٥) الرسائل النثرية الشخصيّة في العصر العبّاسي: د. خالد الحلبوني، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٥، العدد ١-٢، ٢٠٠٩م: ٥١.

مَولَاي وإعلاءُ أمرهِ، وصِلةَ تأييده، وتَمكينِ نَصْرِه)).[١] فغاية النصّ طلب العناية، وهذا دليلٌ على انّ الكاتب ((عاد إلى قُرطبة ليرتّب شؤونه قبلَ الالتحاق بخدمة المعتضد))[٢]، وإنّ هذه سمة أسلوبيّة بارزة في الإشادة بحامل الرسالة، وبيان العلاقة بين الكاتب والمُرسل إليه، مع ذكر اسم الرسالة وصاحبها، يمكن أنْ نلحظ دقّة الألفاظ وقوّة التأثير، وسرعة الدلالة.

ونستنتج من ذلك، أن التنويع يشمل رسائل ابن زيدون، فضلاً عن أسلوبه الذي امتاز بأتساع ثقافته وقدرته اللغوية ومواكبته للتطور الفني الذي ميز الأدب الاندلسي إثرمواكبته لأدب المشرق ، إذ جاءت رسائل ابن زيدون متنوّعة الأغراض، منها ما خرج إلى التهكّم والسخرية، ومنها إلى الاستعطاف، والشفاعة، والوصايا، والعتاب، والاعتذار، ومنها إلى التوصية والعناية، وهذا دليل على أنّ الكاتب عمد إلى تنويع الغرض، ودقّة الالفاظ والمعاني، وسلاسة النصّ من حيث الترتيب، وهذا يدل أنّ ابن زيدون كان متمكنًات من صنعته، وقادرًا على اختيار النصوص، ذات القيمة الجمالية والإبداعيّة.

ثالثاً: الشفاعة والوصايا:

شاع هذا الفن في الأدب الاندلسي، بأسلوب مركز وموجز العبارات، تبرز فيها براعة الاديب براعة الأسلوب في النظم بتضمين نصه للآيات القرآنية والأشعار والأحاديث النبوية في سبيل التقرب والتودد للقادة والأمراء .

ومن ذلك يقول ابن زيدون: **((وَهُوَ فَتًى نَامَ جَدُّهُ، وَاسْتَيْقَظَ حَدّهُ، فَتَنكّرَ الزّمانُ لهُ، واعترّت الأيامُ بهِ))**. [٣]

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٧٣.
(٢) المصدرنفسه: ٧٧٣.
(٣) المصدر نفسه: ٧٥٧-٧٥٨.

كتب ابن زيدون الرسالة المُظفّرية، إلى المُظفّر سيف الدولة بن أبي الأفطس أمير بطليوس مُستشفعًا مُتودِدًا[١]، فالرسالة كُتبَت للأمير طلباً فأهل الاندلس كانوا يختارون كتاب الرسائل من اهل الأدب والثقافة وومن ملكو تقاليد البلاغة والفصاحة واتصفوا بالملكة البيانية وغيرها من أدوات الكتابة[٢]، فقد كتبها للشفاعة والتلطّف بالمشفوع والتودّد إليه، إذ قام ابن زيدون بوصف صديقه، وكيف قست عليه الأيام والأعداء والدهر، حتّى ترك داره ووطنه.

٣. **الاختتام**:

إنّ الاختتام يكون له وقع لدى المتلقي ، لأنه آخر ما يتبقى في ذهن السامع ، والاختتام بالشعر له ميزة خاصة، فكثيراً ما حرص الادباء على هذا الأسلوب ولكن في الأسلوب النثري، يكون له أثر كبير كونه يترسخ في ذهن السامع، ويكون له أثر في نفسه، إذ يقع فيه الإشعار ((بانتهاء الخطاب، والإلماع في اختتام الغرض المقصود منه)).[٣] وبه يتحدد أسلوب الخطاب.

والاختتام في رسائل ابن زيدون: ((**وَمَن جَهِلَت نَفسُهُ قَدرَهُ. رَأى غَيرُهُ مِنهُ مالا يَرى**))[٤]

فالاختتام: بناء متسلسل للرسالة يعنى بناء دائري تنتهي حيث بدأت، فالرسالة بدأت بوصف بطلها (ابن عبدوس) بقوله (ايها المصاب بعقله)المورط بجهله ،البين سخطه الفاحش غلظه وتنتهي بالبيت الشعري (فمن جهلت نفسه)هنا استعمل ابن زيدون الفاظا لغوية عما يختلج في نفسه وفق معايير لمنافسه ،وهذه الالفاظ منحت الرسالة قيمة

---

(١) ينظر: ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٥٤.

(٢) ينظر:أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري: فايز عبد النبي فلاح القيسي، دار أثير للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٠٩ه ـ ١٩٨٩م:٩٣.

(٣) فنون النثر الأدبي في آثار ابن الخطيب (المضامين والخصائص الأسلوبيّة): د. محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، مج٢، ط١، ٢٠٠٤م: ١٤٤.

(٤) ديوان ابن زيدون ورسائله:٦٧٩.

جمالية حققت دلالة واضحة ،فالعوامل اللغوية بالفاظها المنسقة (عقله،جهله،سقطه...) جعلت الرسالة ترتبط بما سبقها وبمايليها وهذا الاستجمام نستنتجع عنه صورتين:

الصورة الاولى: بالشطر الأول: صورة ابن عبدوس كما يرى نفسه وتراه ولادة .

الصورة الثانية: بالشطر الثاني: صورة الحقيقية كما يراها ابن زيدون على لسان ولادة .

أولًا: الاختتام بالسلام والتعظيم والدعاء:

يقول ابن زيدون: **((أَرَفِّلُهَا الشُّكرَ الجَزِيل، وأتبعُها الثَّنَاءَ الجَميل، إنّ شاءَ اللهُ، ولِيُبلّغَ منّي سَلامًا يُهدَى إليهِ نفسه، وتحيّةٌ آخرُ ما عِنْدي)).**[١]

إنّ أهمّية الخاتمة تكون كالفاتحة أو الاستهلال؛ لأنّها كما قال ابن أبي الاصبع: ((آخرَ ما يبقى في الأسماع، ولأنها رُبّما حُفِظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فيجب أنْ يجتهد في رشاقتها، ونضجها، وحلاوتها، وجزالتها))[٢]، هنا يمكن أنْ نرصد جمال الالفاظ ومرونتها في النصّ،فثمة تعبير وجداني ضمني يمكن رصده على وفق أسلوبية (شارل بالي) لتحليل النص والكشف عن علاقته بالمحتوى الوجداني أي المضمون العاطفي فثمة شكر وثناء وطلب اشفاق وإثارة للعطف والرقة ، فهذه المتعالقات ، تشف عن محتوى عاطفي مكبوت في ذات ابن زيدون، وظّفها بأسلوب الاختتام بالسلام والتعظيم.

ومن قول ابن زيدون((**والتحّيّة الطّيّبة ،والسّلام المُردّدُ على سيّدي**))[٣] فنجده يختتم رسالته الجدية ،مخاطبًا ابن جهور ويذكره بإحسانه له وعطفه ،وإنّ الإحسان لايضيع عند الله وإنْ ضاع عند الناس.

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله. ٧٦٢

(٢) فنون النثر الأدبي في آثار ابن الخطيب (المضامين والخصائص الأسلوبيّة): ١٤٤.

(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله:٧٥٣.

ومن الاختتام بالدُعاء: نجد بعض الأمثلة، لابن زيدون في الدعاء، إذ يقول: **((سوّغك الله الموهبة في ذلك،وأنهضك بأعباء الشّكر لها)).**[١] فقد كتبها الى المظفر سيف الدولة ابو بكر بن الافطس أمير بطليوس مستشفعًا متوددًا.

يمكن أنْ يختم الكاتب رسالته بالدعاء، وهذا مما امتازت به الرسائل، إبّان العصر الاندلسي والعباسي، فنرصد ذلك الأسلوب في الرسالة المظفرية، أذ يدعو الى صديقه ابي عامر بن مسلمة، بأنْ يهبه الله الموهبة وكثرة النعم، وتمكنه من الشكر فيتحدّث فيها ابن زيدون عن الإحسان، وانّه لا يضيع عند الله، وإنْ ضاعَ عند بعض النّاس [٢]، فالخاتمة سُبكت بقوة الألفاظ وأجودها كي تبين غرض الرسالة من ناحية الشكر والعرفان لصديقه، ومن ناحية الموضوعات الأخرى [٣]، فينكشف الغرض منها هو بالتماسك بين غرض النصّ والخاتمة.

ومن الأمثلة أيضًا عن الاختتام بالدعاء، إذ يقول: **((زاد الله الحاجب مولاي من سنّي قسمهِ وهني نعمهِ وبلّغه النهايةَ من آمالهِ وصرف بعِزتهِ غِيَرَ الزمّان عن كمالهِ)).**[٤]

وبما انّ الاختتام بالدعاء كان سُنةَ الأدباء في الأدب الاندلسي، نجد ابن زيدون في الرسالة العبّادية؛ يمتدح ابن عبّاد، ويدعو له بأن يرزقه الله الحظ والنصيب، وأن يغدق عليع وافر نعمه ،وحسن الخاتمة، وتحقيق مايصبو اليه، فضلاً عن صرف النائبات وحوادث الدهر عنه، وبذلك تتكشف جماليّة النصّ ورشاقته بعبارات الدعاء، ووفقاً للمعاني والألفاظ المناسبة، التي تعمل على جذب انتباه السامع والمتلقّي وتكسب ودّه، فقد اعْتُنِى

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٦٦.
(٢) ينظر:المصدر نفسه: ٧٥٣.
(٣) ينظر: فن الرسالة في العصر الأندلسي: ٥٩.
(٤) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٧٢.

بالخاتمة ومقاطعها، ذاكرًا فيها السبب، الذي من أجله كُتبتْ الرسالة، وما تضمّنتها من معاني وأفكار عبر عنها الأديب.

ثالثاً: الاختتام بالشعر:

كان أدباء العصر الاندلسي، يتفننون في حسن الاختتام في رسائلهم، بعد أنْ تنوعت موضوعاتها، وبحسب ماتعّبر به عن مشاعر وانفعلات خاصة، وبما أن الاختتام بالشعر له ميزة خاصة، فكثيرًا ما حرص الأدباء على هذا الأسلوب، ولكن في الأسلوب النثري، يكون له أثرٌ كبيرُ، وما لحظناه، أن ابن زيدون، كان قليلاً ما يختم رسالة بالبيت الشّعري، إذ يقول ابن زيدون:

وَمَن جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَـدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لا يَرَى.(١)

يمكن ملاحظة، أنْ الرسالة الهزليّة تُختتم بالشّعر، فجاءت معانيها واضحة، والألفاظ متناسقة، مناسبة للمعنى كان مدحاً أو هجاءاً، فابن زيدون يهجو ابن عبدوس والسخرية منه، لأنّه أحبّ ولّادة، فالرسالة ختمت بالشعر لما للشعر من وقع في الختام وأثر في المتلقي، فضلاً عن النغمة الموسيقية، وأبعاد الدلالات المتنوّعة، التي أسهمت في خلق نبرة موسيقيّة مناسبة للنصّ، و((إنّ استعمال الشّعر في تراكيب الرسائل، قد قوّت ظاهرة التصنيع)).(٢)

ومن الأمثلة أيضًا لابن زيدون قوله:

وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنّنِي بَدْرُ السّمَـا لَكِنْ ذهِبْتُ لِشِقْوَتِي بِالمُشتَرِي.(٣)*

وعليه يمكن القول أن ابن زيدون قد رسالته(ليلة نعيم) بالعتاب، حين صنع ذلك البيت الشعري، ولكن بدأه بالمديح والثناء فقد وصف ممدوحه بالسماء يزينها البدر ((فهو

---

(١) ديوان المتنبي : ٥١٢.* ورد في ديوان ابن زيدون:٦٧٩.
(٢) الرسائل الأدبيّة ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعريّة): ٣٤٢.
(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٨١.

بدرٌ مُشرقٌ في صفحة السماء، زاهه نجم المشتري، والمقصود من هذا جاريتها عُتبة)) [١]، ونلاحظ أنّ الأديب استعان بالشعر؛ ((ليكون ذلك مناسبًا للوصف، ممّا أثارت في نفسه الانفعال المناسب للنصّ))[٢]، وهذا دليل على تفوّق الاديب في جميع الاغراض النثرية والشعريّة جميعها.

رابعاً: الاختتام بالوصف والتحيّة:

لكل رسالة خاتمة، لكن مايميز رسائل ابن زيدون، هو بأسلوب نثري ينم عن ثقافة واسعة، كونه يمتلك وزارتي الشّعر والنثر، فيعتمدالوصف، ليكون حسن الاختتام أو الانتهاء، فيقول: ((وأَهْدي إليكَ نَدِيَّ الغَضِّ النَاظرِ مَنْ سَلَامي، والأرجَ العَاطِر من نَحيّتِي)).[٣]

فغاية ((الخطابً طمأنة في إنجاز مسؤوليّة الرحلة إلى الأمير))[٤]، فمدلول النصّ وصفاً، للأحداث والأشياء فيختمها بالوصف والتحيّة، فالسمة الحواريّة هي التي تميّز بها النصّ [٥]، فقد أدّت إلى ظهور أنواع متنوّعة من الوصف منها النضارة والجمال وعطر الأريج ومن الأمثلة أيضًا، لابن زيدون عن الوصف قوله: ((**زَادَ اللهُ الحَاجِبَ مَولَايَ من سَنيَّ قَسَمِه، وَهَنِيَّ نِعَمِه، وَبلّغهُ النّهايةَ من آمالِه، وَصَرفَ بعزّتِهِ غَيرَ الزمان عن كَمالِهِ**)).[٦] فأبن زيدون ختم الرسالة العباديّة، وهو ((يتكلّم عن الحظّ والنصيب، وعن أحداث الزمن ونوائبه)).[٧]

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٨١.
(٢) الرسائل في فضائل أهل الأندلس: ٩٠.
(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٦٨.
(٤) المصدر نفسه: ٧٦٨.
(٥) ينظر: الرسائل الأدبيّة ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعريّة): ٤٠٨-٤٠٩.
(٦) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٧٢.
(٧) المصدر نفسه: ٧٧٢.

Abstract

The letters of Ibn Zaidoun expressed the maturity of Arab culture in Andalusia, including his literary cultural imagination, made his prose product a station, for the forum of critics and those interested has owned his style of privacy sent a distinctive feature in his prose product, and those manifestations of rhetorical old, what critics read from the definitions contributed to the formation of the structure of literary messages, the writer was fully aware of the choice in conclusion, and this reflects a broad culture, and literary language eloquent.

Accordingly, this study had several results, including:

• The study showed that he often used the initiation of all kinds, including the initiation of the call, as it is one of the beginnings, which emerged in his messages, begins his message with the tool of the call (O) The purpose of the initiation is to alert, so as to reverence the addressee, and from the initiation as well as the initiation of supplication, it begins with supplication, in order to pave the way to praise Al-Mu'tadid bin Abbad, and mentioned his qualities, including the actions and words of the generous and temperament that he possesses, so his poison was prominent in his introductions. As for the beginning of the description, it was also a distinctive feature, which can be studied, according to the mechanisms of the stylistic approach, as the beginning of the description is one of the important topics of rhetoric, to express the eloquence of the text.